



ورقة علمية قدمت في الندوة العالمية بعوان:
" أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية من منظور متعدد"
والتي يعقدها مركز الدراسات الإسلامية والعربية
بالتنسيق

مع جامعة الشافعية للعلوم الإسلامية

بجاكرتا – إندونيسيا

بتاريخ 14-16 يوليو 2012

بعنوان

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

2012

ملخص البحث

إنه مما لا يتنازع عليه اثنان أن الأمة الإسلامية تعيش في حالة من التمزق والاختلاف مما يندى له الجبين، ووا أسفاه! حيث التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري رغم امتلاك هذه الأمة الإسلامية أكبر وأضخم مقومات التقدم والازدهار من موارد بشرية وطبيعية ودينية. وما ذلك إلا بسبب هجر المسلمين لتعاليم القرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية المطهرة، وهذا جزاء من جنس العمل، وصدق الله العظيم: [ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً]، فهل إلى الخروج من هذه الأزمة من سبيل؟ إن مفكري الأمة الإسلامية وعلماءها ذهبوا مذاهب شتى في البحث عن السبل والوسائل والحلول للخروج من هذه الأزمة. فمنهم من رأى أن سبب تخلف الأمة تكمن في ضعف عقيدتها وضعف تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها. ومنهم من رأى أن سبب تخلفها تكمن في منظومتها الفكرية والمنهجية في ريتها بأن هنالك تعارضاً وتناقضاً بين العلوم الإسلامية المنبثقة من الوحي الإلهي – القرآن والسنة الصحيحة - والعلوم الإنسانية أو الاجتماعية – ذات الأسس والقيم والصبغة الغربية، لأنه لا يمكن الانسجام معها ولا التوافق بينها، فنظرية إسلامية المعارف أو أسلمة العلوم من منظور هؤلاء لا تعدو أن تكون إلا ضرباً من الخيال ومحال المنال. والذي يبذرون لنا أن العلاج الصحيح لحال الأمة الإسلامية يبدأ من الجانب العقدي لتقوية الوازع الديني الدافع إلى الالتزام بالأحكام الدينية، كما أنه ينبغي التركيز على معالجة الجانب الفكري والمنهجي وبيان الحكمة والأبعاد للأحكام الدينية الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان. فحتى تعود الأمة الإسلامية إلى رشدتها وعزها، أرى لزاماً علينا، معاشر المفكرين والدعاة أن نشرع في معالجة هذه الأمراض التي ألمت بأممتنا الإسلامية، ابتداءً بإصلاح مسارها العقدي أولاً، ثم الفكري ثانياً، وذلك من خلال الاستفادة من تجارب الآخرين وعلومهم المختلفة. لقد اصطاح العلماء على هذه العملية الإصلاحية العقدية والفكرية بـ: عملية إسلامية أو أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي تعني القيام بالنشاط المعرفي كشافاً وتجميعاً وتحريراً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان لهضم جميع ما أنجزه الفكر الغربي في بُعديه الحضاري المادي والثقافي المعنوي ضمن مفاهيم فلسفية، ومادية وإلحادية، وذلك بإعادة تفسيرها وربطها بإطار قيمي إسلامي، لأنه إذا صلحت العقيدة في القلب انعكست آثارها إلى صلاح الفكر والمنهج، وبذلك تصلح حال حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، وإذا فسد مسار العقيدة فسد مسار الفكر والمنهج، وبذلك تفسد حال الأمة الإسلامية، حاضرًا و

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خيرالدين خوجة
مستقبلاً. هذه الورقة سنلقي الضوء على هذه القضايا الفكرية والمنهجية من خلال مفهوم الوحي
الإلهي ووظيفته والله الموفق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، جاعل الدنيا دار غرور لا دار سرور، ومطية عمل لا مطية كسل، ومنزل عبور لا متنزه حبور، ومحل تجارة لا مسكن عمارة، ومتجر بضاعتها الطاعة، وربحها الفوز يوم تقوم الساعة، والصلاة وأزكى والسلام على البشير النذير بين يدي الساعة محمد بن عبد الله صاحب الشفاعة، وعلى الأطهار أولي الإحسان والطاعة ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى أن تقوم الساعة، أما بعد:

فهذا بحث أعدته لتقدمه إن شاء الله في الندوة العالمية حول (أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية من منظور متعدد)، والذي يعقده مركز الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الشافعية في جاكارتا - إندونيسيا. أرجو من الله عز وجل أن يعينني على إنجازه في ظل ظروف وضغوط أكاديمية مكثفة بجامعة قطر، حيث الاختبارات النهائية على الأبواب مترامنة مع أزمة اعداد الملف الأكاديمي لعضو هيئة التدريس، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

إن هذا المشروع؛ "مشروع أسلمة أو إسلامية العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية" أو "مشروع التوجيه القرآني والنبوي للعلوم الإنسانية والاجتماعية"، يهدف إلى مواكبة قدرة العقل والفكر والمنهج السليم وحاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية والمناهج الفكرية والحضارية اللازمة، - و لا يعني هذا المشروع بحال من الأحوال تناقضاً أو إلغاء لجهود كافة المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في المجالات الحياتية المختلفة، بل يعني التكامل والتكاتف معها.

إن حقيقة مشروع إسلامية العلوم الإنسانية عبارة عن عمل أو اجتهاد مؤسسي جماعي منهجي موضوعي في ظل التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، يتم فيه غرلة وتنقيح وتهذيب وتحليل ومراجعة وتنقية وتصفية العلوم الإنسانية والاجتماعية وتطهيرها من الأفكار والاتجاهات الكفرية أو الشركية أو الإلحادية أو العلمانية أو الشيوعية أو الماركسية واللينينية أو الديموقراطية أو الغربية الحديثة، والتي تتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف جملة أو تفصيلاً، وبعد هذه المراجعة والتحليل يتم إضفاء الصبغة والبدائل الإسلامية عليها وإخراجها بحلة جديدة تسر الناظرين والمؤمنين وترضي الله رب العالمين.

سبب اختيار البحث

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

هذا، ويعود سبب اختياري لهذا البحث إلى رؤيتي لفئة من المثقفين والمفكرين المعاصرين المشككين لمسألة أو مشروع " الأسلمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية" من حيث نشأة هذا الفكر الجديد والهدف الذي يصبو إليه لتحقيقه. بينما تبين لي من خلال الدراسة والمطالعة خلاف ما زعم هؤلاء، فعزمت البيان والتوضيح من خلال هذه الصفحات بأنه لا تعارض ولا تناقض بين دلالات الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة ودلالات وقرارات العقل السليم المتمثل في الاكتشافات – الحقائق - العلمية والمعارف الإنسانية.

أهمية البحث

أقول إنه يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، نحن رجال الفكر والدعوة، أن قضية إسلامية العلوم أو التأصيل الإسلامي للعلوم، هي قضية ذات شأن عظيم ومسؤولية كبيرة، وهو واجب ديني كبير أنيط على أعناقنا لإنقاذ هذه الأمة المحمدية من هذا التخلف العلمي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فأهمية المشروع يظهر في الآتي:

أ- أنه يهتم بتحقيق جانب أساسي وأولي في بناء الأمة الإسلامية يختص بالفكر والتصور والمحتوى الإنساني القيمي والفلسفي.

ب- أنه يعني منهجية إسلامية قومية شاملة تلتزم بتوجيه الوحي ولا تعطل دور العقل، وأن الوحي هو مرشد العقل والفرد والمجتمع الإنساني.

ت- أنه يركز على معرفة تصدر عن قيم الوحي وغايات الرسالة وتتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكريها على مر العصور والقرون.

ث- أنه يأتي على رأس سلم أولويات الأمة، التي تستهدف تطوير منهجية الفكر الإسلامي وتطهيره مما اعتراه على مر العصور إلى يومنا هذا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يدافعون عن دينه الحنيف بالقول والفكر الحق، وأن يجعلنا مخلصين إنه تعالى خير مأمول وأكرم مسؤول.

المبحث الأول: مصطلح " أسلمة العلوم " أو " إسلامية المعرفة " العرض والمناقشة

المطلب الأول: عرض المصطلحات - التعريفات

ذكر عدد كبير من الباحثين والعلماء المعاصرين في هذا الحقل عدة تعاريف لمفهوم أسلمة العلوم، واتفقوا في بعض الجوانب واختلفوا في أخرى، ويعود سبب ذلك الاختلاف إلى تنوع الخلفية الفكرية والدينية لهؤلاء العلماء. وقد تطرق المفكر الإسلامي التركي، سعادة الأستاذ الدكتور مقداد يالجن في دراسة مفصلة له حول هذه المسألة مشيراً إلى أنه قد وردت عدة مصطلحات ومسميات أخرى لها علاقة مباشرة ووطيدة بمشروع أسلمة العلوم، ويبدو لي بعد النظر والتحليل في هذه المسميات أن بعضها قريبة ومتداخلة مع البعض إلى هدف المشروع، والبعض الآخر بعيدة نوعاً ما من هدف المشروع. وفيما يلي ذكر المسميات أو المصطلحات التي أشار إليها الدكتور مقداد يالجن:

- 1- أسلمة العلوم أو أسلمة المعرفة،
- 2- التوجيه الإسلامي للعلوم،
- 3- توجيه العلوم الإنسانية وجهة إسلامية،
- 4- صياغة العلوم صياغة إسلامية،
- 5- تأصيل العلوم تأصيلاً إسلامياً،
- 6- إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها العلوم الاجتماعية،
- 7- تأسيس العلوم الاجتماعية على الأصول الإسلامية،
- 8- العودة بالعلوم إلى أصول الشريعة الإسلامية،
- 9- بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام¹.
- 10- تنقية وتصفية العلوم الإنسانية والاجتماعية من المبادئ المخالفة للإسلام.

وهذه التسمية الأخيرة من اجتهادي الشخصي وأعتقد أنها تنطبق جداً على مشروع الأسلمة من حيث الإجراء العملي للتعامل معه وتحقيق الهدف النبيل من ورائه، ونحن في بحثنا سنختار مصطلح: أسلمة العلوم أو إسلامية العلوم - أي بمعنى التنقية والتصفية والغربلة والتهديب والتنقيح -، وأما فيما يخص التعريفات الواردة في هذه المسألة فسأختار للمناقشة بعضاً من أشهر هذه التعريفات لبعض أشهر المفكرين وفرسان هذا المشروع ثم أبين الراجح منها بإذن الله.

التعريف الأول:

¹ يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، دار عالم الكتب، الرياض، ط2، 2004، ص31-36

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

✓ للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، المؤرخ العراقي حيث عرف إسلامية المعرفة قائلاً إنها:
"تعني إسلامية المعرفة أو أسلمة المعرفة ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً
ونشراً من رواية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"².

التعريف الثاني:

✓ للأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد عمر:

" تريد دعوة إسلامية المعرفة أن تنسب المعرفة إلى الدين وإن الدين عند الله الإسلام"³.

التعريف الثالث:

✓ للدكتور محمد عمارة، المفكر الإسلامي المصري، حيث عرف إسلامية المعرفة أو أسلمة العلوم بـ: "المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع والوجود وحدة المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية – كما أنه - هو المصدر الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنتين (الوحي) وعلومه، (الكون) وعلومه، وليس على ساق واحدة وهي الوجود"⁴.

التعريف الرابع:

✓ مستخرج من ضمن المواضيع المطروحة في المبادئ العامة لإسلامية المعرفة وهو:
"إسلامية المعرفة تعني منهجية إسلامية قويمية شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل بل تتمثل مقاصد الوحي وإرشاده وهو الفرد والمجتمع الإنساني والبناء والإعمار الحضاري..."⁵.

التعريف الخامس:

✓ للأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح – رحمه الله – المفكر الإسلامي العراقي، أستاذي في مادة (مقارنة الأديان) في مرحلة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، عرفه قائلاً:

" عنوان لمنهج فكري في الثقافة الحضاري ذي بعدين، أو معنيين متضايقين: الأول منهما: يراد به جهد الفكر الإسلامي المعاصر، وسعيه الحثيث من أجل هضم جميع ما أنجزه الفكر الغربي و تمثله في بعديه: الحضاري المادي، والثقافي المعنوي، الثاني منهما: ففيه التنبيه

² خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 15

³ عمر، إبراهيم أحمد، محاضرات في المنهجية الإسلامية، ص 1

⁴ عمارة، محمد، إسلامية المعرفة، ص 15

⁵ إسلامية المعرفة - المبادئ العامة: ص 167

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

على وجوب تأمين تحرير تلك المنجزات التي نشأت ضمن مفاهيم فلسفية، لا دينية، ومادية وإلحادية، وذلك بإعادة تفسيرها و ربطها بإطار قيمي إسلامي موصول و متصل بالهدى الإلهي الذي بلغ كما له و ختامه بالإسلام⁶

التعريف السادس:

✓ للمفكر الإسلامي الفلسطيني المرحوم الدكتور إسماعيل الفاروقي:

" إن إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام هو ما نعنيه بكلمة (أسلمة) ونعني بها إعادة صياغة المعلومات وتنسيقها، وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المحصلة منها، وتقديم الاستنتاجات التي انتهى إليها، وإعادة تحديد الأهداف، على أن يكون ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة وتثري التصور الإسلامي، وتخدم أهداف الإسلام"⁷.

التعريف السابع:

✓ لأستاذي الفاضل – أستاذ مادة (إسلامية المعرفة) أ.د. إبراهيم رجب من مصر:

"التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد بوصفها مصدراً للمعرفة، بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي إطاراً نظرياً لتفسير المشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الواقعية (الأمبيريقية - التجريبية) وفي بناء النظرات في تلك العلوم بصفة عامة"⁸.

التعريف الثامن:

✓ للمفكر الإسلامي والأستاذ الدكتور مقداد يالجن، من تركيا والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية والتربوية في الرياض، حيث عرفه مشروع الأسلمة للعلوم بتعريف مختصر قائلاً: " بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام "⁹.

⁶ مجلة (إسلامية المعرفة)، العدد الخامس، ص 9

⁷ الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة، دار البحوث العلمية – الكويت، 1404 هـ، ص 25

⁸ مجلة (إسلامية المعرفة)، العدد الثالث: ص 48 – بحث د/ إبراهيم رجب، و انظر كذلك مجلة التجديد، العدد 3 ص 97 بحث للدكتور نزار العاني من العراق وأستاذ مادة علم النفس بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

⁹ يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص 36

المطلب الثاني: مناقشة المصطلحات - التعريفات مع الترجيح

وبعد عرض هذه التعريفات السبعة نقول إن بين هذه التعريفات عموم و خصوص وتقارب شديد، بعضها شاملة كاملة جامعة مانعة، والبعض الآخر لم تتوفر فيها هذه الشروط والميزات. كما أن كثيراً من هذه التعريفات اتفقت فيما بينها في تحديد المنهجية والهدف.

❖ مناقشة التعريف الأول:

يقول الدكتور عماد الدين خليل: " تعني إسلامية المعرفة أو أسلمة المعرفة ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من رواية التصور الإسلامي للكون والحياة و الإنسان" ¹⁰.
إن إشارة الدكتور إلى ممارسة النشاط المعرفي... الخ، مشروط من وجهة النظر الإسلامية - قرآن وسنة، ولكن تعبير " ممارسة النشاط المعرفي... الخ " يبدو لي أنها توحى بأن التصور الإسلامي للعلوم يمكن أن تحدث بعد الشروع في العلوم! وهذا مما لا ينبغي أن يكون. إن التصور الإسلامي للأعمال والنشاطات والمعارف المختلفة يسبق الممارسة ويوجب علينا الاستعداد القلبي والمنهجي قبل الممارسة والشروع في أي عمل نقوم به أو علم نتعلمه أو نعلمه، لأنه إذا صلحت المقدمات صلحت النتائج، وإذا فسدت المقدمات فسدت النتائج. إذن، نحن نتفق مع هذا التعريف في الشق الثاني ونراعي الاعتبار الذي ذكرته في الشق الأول، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الثاني:

إن قول الدكتور إبراهيم أحمد عمر: " تريد دعوة إسلامية المعرفة أن تنسب المعرفة إلى الدين وإن الدين عند الله الإسلام" ¹¹.
نقول إن هذا التعريف غير شامل وغير جامع وغير مانع. ولا نوافق فيما ذهب إليه من أن إسلامية المعرفة تعني نسبة المعرفة أو العلم إلى الدين! كلا! فهناك معارف وعلوم غير دينية بل وغير إسلامية، ولا يجوز نسبة هذه العلوم إلى الدين الإسلامي لأن الإسلام أصلاً لم يأت بها، فكيف ينسب شيء ما إلى الدين والدين منه براء! وهناك من العلوم والمعارف تم اكتشافها على أيدي غير المسلمين، فهل يعقل تعطيل المصالح العامة والقول بعدم الاستفادة منها لكونها غير إسلامية! كلا. وأود التأكيد هنا من أن العلوم والمعارف لا توصف بأنها دينية أو غير دينية! بل لا دين لها أصلاً. إن العبرة في هذه العلوم والمعارف هو النظر فيما تؤول إليه هذه العلوم والغرض من استخدامها، فإن خيراً فخير وإن شراً فشر. إن هذه العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية يجب أن يستفاد منها ضمن

¹⁰ خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 15
¹¹ عمر، إبراهيم أحمد، محاضرات في المنهجية الإسلامية، ص 1

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

الإطار الديني وفي ضوء المبادئ الدينية الإسلامية السمحة، بحيث يكون الدين الإسلامي هو الموجه والمرشد الأساسي لتحديد الهدف من استخدام هذه العلوم، ولا فرق في هذه المسألة في كون هذه العلوم إسلامية أو غير إسلامية. المهم أن لا يساء استخدامها في إهلاك الحرث والنسل، إذن، هناك فرق بين نسبة العلوم إلى الدين وبين الاستفادة من هذه العلوم وفق المبادئ الدينية الإسلامية، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الثالث:

للدكتور محمد عمارة: "المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع و الوجود وحدة المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية – كما أنها - هي المصدر الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنتين (الوحي) وعلومه، (الكون) وعلومه، وليس على ساق واحدة وهي الوجود".¹²

هذا التعريف رائع للغاية، فقد اشتمل على عناصر وضوابط كثيرة والتي هي من صلب هذه المسألة. غير أن قوله: " المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف...الخ"، فكلمة: المذهب، يفضل استبدالها بغيرها، ذلك، لأننا عندما نحاول ربط الاستفادة من المعارف الإنسانية والعلوم الاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية وفق الضوابط الشرعية المبنية على الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح، فهذه العملية أو هذه المحاولة أخرى وأجد بأن تسمى بـ: منهجية إسلامية، أو عملية عقيدة ودينية في تنقية وتهذيب العلوم والمعارف من كل ما يشوب الإسلام...الخ، فاعتراضنا على هذا التعريف ينصب على هذه الجزئية فقط، أي أننا لا نرى استخدام مصطلح " المذهب "، حتى لا يتوهم ذلك بأن هذا العمل مثل بقية المذاهب المعاصرة الصالحة منها وغير الصالحة، فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية من حيث المصدرية وتحديد الهدف من وراء استخدام هذه العلوم ، وهناك فرق بين العقيدة والإيمان الجازم، وبين المذهب، أيا كان هذا المذهب. كما أن إشارة الدكتور محمد عمارة في تعريفه أن المعرفة الإنسانية يجب أن تقوم وأن تثبت على ساقين أو ركنين: الأول منهما: الوحي بعلومه- الكتاب والسنة الصحيحة -، والثاني علوم الكون المختلفة، قيّد من أروع ما رأيت في هذه المسألة، وبالطبع يراد بـ: العلوم والمعارف الإنسانية الحقائق العلمية وليس النظريات أو الفرضيات، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الرابع:

¹² عمارة، محمد، إسلامية المعرفة، ص 15

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

عموما ليس لنا استدراك أو ملاحظات على هذا التعريف، ولا أرى في الوقت الحالي إضافة أي شيء جديد، غير أن هذا التعريف يتميز بربط الوحي مع العلوم والمعارف دون تعطيل دور العقل، وأن العقل يكون موجها بنور الوحي وهدايته وإرشاده في الإعمار الحضاري والبناء الإنساني. وهذه القيود المدرجة في هذا التعريف جميلة وهامة للغاية، لأن كل عمل أو نشاط أو حركة أو علم يقصي الوحي – الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح – ولا يستنير بهديه فلا خير فيه ولا بركة، كما أن الشرع الحنيف أناط تكليف الإنسان على كونه عاقلاً، فإذا انتفى العقل سقط التكليف، وإذا وجد العقل وجب عليه الاستنارة بنور الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الخامس:

أما تعريف أستاذي المرحوم الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، فقد أصاب الحق عندما أطلق على عملية "الأسلمة" مصطلح: المنهج، وقيدها بـ: الفكري والثقافي والحضاري، مبينا المراد من حقيقة هذا القيد، بأنه عبارة عن جهود علماء المسلمين عبر التاريخ لهضم وقبول ما أنجزه الفكر الغربي في الجانب الحضاري والمادي والثقافي...، إذن هو رحمه الله ركز على محاولات وجهود العلماء المسلمين عبر التاريخ إلى يومنا هذا في هضم وتمحيص ومن ثم قبول ما أنجزه الآخر، ثم إرجاع تلك المنجزات إلى شهادة المركز (القرآن والسنة) – كما كان هو يعبر رحمه الله في محاضراته العلمية معنا -، أو بمعنى آخر نقول إن هذا المنهج يعني تنقيح وغرلة تلك الجهود العلمية الغربية من وجهة النظر الإسلامية وجعلها صالحة وقابلة للعمل والتطبيق، وكان رحمه الله يركز علينا في محاضراته أن هناك فرق بين الدين - وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة- والفكر الديني، وهو عبارة عن اجتهادات وآراء علماء المسلمين في فهم وتفسير هذه النصوص الدينية.

والشيء المميز في هذا التعريف هو أن الأستاذ المرحوم دعا إلى تحرير وتنقيح تلك المنجزات الغربية التي نشأت في ظل مفاهيم فلسفية لا دينية، مادية وإحادية... الخ، وربطها بإطار قيمي إسلامي موصول بالهدى الإلهي الذي بلغ كماله وختامه بالإسلام، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف السادس:

للمفكر المرحوم إسماعيل الفاروقي، فهو رحمه الله. لقد اتفق الآخرون معه في ضرورة إعادة صياغة العلوم الإنسانية والاجتماعية في ضوء النصوص الشرعية – القرآن والسنة الصحيحة -، وزاد في هذا الشرط أيضاً إعادة التفكير والنظر في مقدمات ونتائج تلك العلوم الإنسانية والاجتماعية، وضرورة إعادة تحديد الأهداف الإسلامية من وراء استخدام هذه العلوم. هذا ما تعني عملية "الأسلمة" أو "الإسلامية" من منظور المفكر إسماعيل الفاروقي رحمه الله. إن مراعاة هذه القيود المهمة في

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

هذا التعريف أمر ضروري للغاية، لأنه إذا صلحت المقدمات صلحت النتائج و إذا فسدت المقدمات فسدت النتائج، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف السابع:

لأستاذي الفاضل إبراهيم رجب حفظه الله و رعاه، حيث هو الآخر ذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء السابقون من إخوانه المفكرين، ولكنه قيد تعريفه بقيدتين، الأول: التأصيل الإسلامي للعلوم، أي أنه اشترط ابتداء مسألة إرجاع العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى أصل الإسلام، والمقصود النظر في مدى موافقة هذه العلوم والمعارف للكتاب والسنة الصحيحة وهدى السلف الصالح. والقيد الثاني: يجب أن تكون في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، أي وفق هذه المعايير الإسلامية، وذلك لإخراج التصور الغربي أو العلماني أو الإلحادي أو المسيحي أو اليهودي أو البوذي أو الهندوسي... الخ. وهذان القيدان هامان للغاية، وحتى تعطي هذه العملية أكلها لا بد أن تتم عبر منهج علمي يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد بوصفها مصدراً للمعرفة – في ضوء الاعتبارات السابقة – والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الثامن والأخير:

إن تعريف الأستاذ الدكتور مقداد يالجن حيث عرف مسألة " أسلمة العلوم " بـ: " بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام"¹³، و في تصورنا المتواضع هذا التعريف لا يسلم من بعض الاعتراض. إننا أكدنا مما سبق بأن العلوم الاجتماعية ليست كلها مخالفة للإسلام جملة وتفصيلاً. لقد جرت العادة في العلوم الإنسانية والاجتماعية قديماً وحديثاً أن تشتمل على الحق وعلى الباطل، وتبين مما سبق أن الإسلام يقبل الحق ويرفض الباطل، وهذا هو عين الإنصاف بغض النظر عن المصدر أو القائل. وأما مصطلح " البناء " المشار إليه في تعريف الدكتور مقداد يالجن، فكأنما يقصد منه إيجاد وابتكار تلك العلوم ابتداءً من الأساس، وهذا أمر متعذر وليس مقصوداً في مشروع الأسلمة، إذ لا يمكن ابتكار أو تأسيس جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية على نهج الإسلام ابتداءً، وإنما المقصود هو تنقية تلك العلوم والمعارف من كل ما يخالف الإسلام، فالفرق واضح بين البناء والتنقية أو التصفية، والله أعلم.

➤ الخلاصة مما سبق

نخلص إلى القول بأن جمهور العلماء والمفكرين في هذه المسألة اشترطوا إعادة وإرجاع العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى أصل الإسلام، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. وأيضاً لوحظ مما

¹³ انظر: يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص 36

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خيرالدين خوجة

سبق أن جميع المفكرين اشرطوا إعادة النظر في هذه العلوم وفق التصور الإسلامي والمعايير الإسلامية للإنسان والمجتمع والوجود – وهذا تصور هام للغاية فهو يضع النقاط على الحروف ويعيد الأمور إلى نصابها، كما أن الجميع في هذه المسألة قد اتفق بأن هذه العملية في البحث والتحليل والتنقيح والتمحيص والغربة يجب أن تتم وفق منهج علمي دقيق، تراعى المقدمات العلمية والمنهجية بدقة حتى تأتي النتائج دقيقة وسليمة من الشوائب.

• الترويج مع التوضيح

والذي نرجحه من هذه التعريفات - والعلم عند الله - هو تعريف الدكتور إسماعيل الفاروقي والدكتور عرفان عبد الحميد فتاح رحمهما الله لكونهما جامعين ومانعين وأكثر شمولاً وأوسع دلالة، والله أعلم. وأعتقد بقوة أن إيجاد تعريف مختصر جامع مانع لهذا الغرض صعب المنال، وإنما يفضل التوضيح والبيان من هذا المشروع، وإن كان لنا حق في بيان توضيح لعملية: " أسلمة أو إسلامية العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية "، نقول وبالله التوفيق والهداية:

إن المسلم مأمور بالتوفيق لا بالتلفيق، والتسديد والتقريب بين ما هو صالح ومفيد وبين ما هو غير صالح وغير مفيد. فهو يوفق بين مبادئ الثقافة الجديدة أو العلوم الإنسانية والاجتماعية المستوردة أو المكتسبة وبين مبادئ الدين الإسلامي، فما طاب من تلك العلوم والمعارف والثقافات ولم يتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف قبل، وما خبث منها وتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف رُفض. ويتم هذا التوفيق بعدة طرق و وسائل، أبرزها: عرض تلك الثقافات أو العلوم المستوردة على شهادة الميزان والمركز الإسلامي - القرآن والسنة وعلى أقوال العلماء المعتمدين والمعتبرين والمشهود لهم بالعلم والصلاح والتقوى -، ثم القيام بعملية الغربلة والتحليل والتمحيص بطريقة منهجية يتم من خلالها إخراج كل العناصر الكفرية أو الشركية المعادية والمخالفة للإسلام والتي لا تتماشى مع الذوق العام أو تصطدم مع الأعراف السائدة غير مخالفة للشرع، ومن ثمّ يتم إضفاء الصبغة الشرعية أو الإسلامية على تلك العلوم والثقافات والمعارف، ويتم تقديمها إلى المسلمين بطريقة وحلة جديدة. وهنا يظهر عظمة الإسلام وإعجازه في قبول ما لدى الآخر دون الانصهار والذوبان مع المحافظة على الهوية الدينية الأصيلة، وبهذه المنهجية المركزة نكون قد وفقنا بين ما هو صالح وطيب من تلك العلوم أو المعارف والثقافات وما هو غير صالح، و نكون قد ابتعدنا عن التلفيق والغش والخداع، والله أعلم.

ولا ننسى بأن هذه العملية العلمية والمنهجية لن تكون مباركة ولا ناجحة إلا إذا تمت عبر مؤسسات علمية مثل معاهد وكليات وجامعات وهيئات أو جمعيات معتمدة، وعبر لجان علمية متخصصة تسوده روح العمل الجماعي والإشراف العلمي الدقيق. إن الجهود الفردية في مشروع " الأسلمة " للعلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية لا تلبث إلا أن تكون جهوداً على الورق و في عالم النظريات، دون أن تكون لها وجود حقيقي في عالم الحقائق والمشاهدات ما لم تتوفر فيه الاعتبارات السابقة، والله أعلم.

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خيرالدين خوجة

وحتى يكون التأصيل ناجحاً وموفقاً أرى من الفائدة العلمية الكبرى في هذا الصدد ذكر كلام أحد أعلام التأصيل الإسلامي المعاصر للعلوم من تركيا، فضيلة الأستاذ الدكتور مقداد يالجن، حيث تحدث عن الأركان الأساسية لنجاح التأصيل أذكر ذلك بالاختصار:

1. " وجود روح التأصيل لدى القائمين بالتأصيل من المسؤولين والباحثين والمعلمين...،
2. وجود منهج للتأصيل يستخدمه القائم على التأصيل يتسم بالعلمية ومتفق عليه بين المعنيين بالتأصيل...،
3. الوقوف على محتوى العلوم التي تكون بحاجة إلى تأصيل...،
4. قناعة المؤصل بما يقوم به من التأصيل...،" ¹⁴.

¹⁴ انظر: يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، دار عالم الكتب، الرياض، ط2، 2004، ص

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خيرالدين خوجة

أما أهم العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تحتاج إلى التأصيل الإسلامي أو الأسلمة فهي كالآتي:

1. علم التربية Education (ذات المنطلقات والأسس الغربية المعادية للمبادئ الإسلامية).
2. علم النفس الغربي Psychology (المؤصل على المنطلقات والأسس الغربية المخالفة للإسلام).
3. علم الإنسان Anthropology
4. علم الأخلاق Ethics/Morals
5. علم الاجتماع Sociology (المؤسس على الأسس والقواعد الوضعية)
6. علم التاريخ History (المحايد واللاموضوعي أيا كان هذا التاريخ)
7. الحضارة الغربية Western Civilization بكل ما فيها، لأنه لا يمكن قبلها مطلقاً ولا رفضها مطلقاً)
8. الحقوق الاجتماعية Social Rights (أي تلك الحقوق التي لا تراعى فيها العدالة والمساواة للجميع، في بعض المجتمعات التي تتميز بالطبقية أو الجهوية أو السلطوية أو القبلية).
9. الدراسات المتعلقة بحقوق الإنسان Human Right Studies، وعدم تفريق بين الإنسان أو المواطن، أيا كان هذا الإنسان بغض النظر إلى الخلفية الدينية أو العرقية أو الجيوغرافية... الخ.
10. الخدمة الاجتماعية Social Services (التي تدفع ثمنها أو ضريبتها الطبقة الدنيا من الناس لخدمة الطبقة العليا)
11. علوم الاقتصاد والتجارة الغربية Economics & Business studies (المليء بأنواع من المعاملات المحرمة في البيع والشراء والصفقات المشبوهة في المصارف والمعاملات التجارية)
12. الثقافة الغربية Western Culture (الثقافات السلوكية في الملبس والمشرب والمأكل والزواج والعلاقات الأسرية والاجتماعية والتي لا تراعى فيها الآداب والمبادئ الدينية ولا المروءة الإنسانية)
13. علوم السياسة Political Sciences (سواء كانت سياسة غربية أم شرقية، عربية أم تركية، كردية أم ألبانية... الخ)

14. علم القانون الغربي Western/Roman Law

15. علوم الصناعة Industrial Sciences (تحديد مآل ومقصد الصناعة والهدف الذي من أجلها تستخدم).

16. الطب - العلوم الطبية Medicine/Medical Sciences (الدراسات والاكتشافات والتجارب الطبية من المنظور الغربي)

17. علم الفلسفة Philosophy (المذاهب الفلسفية الهدامة)

18. الدراسات الأدبية والفنية والإعلامية¹⁵ Media, Literary and Art studies

هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية هي التي تحتاج من أولي النهى وأهل الحل والعقد النظر في محتوياتها لتنتقيتها وتصفيتها وتقديمها إلى الأمة الإسلامية من جديد، فهل نحن فاعلون؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، وما يعقلوها إلا العالمون.

هذا وقد يسأل السائل: ماذا تقصدون بتأصيل العلوم أو أسلمتها أو ما المراد بإسلاميتها؟ هل هي كافرة حتى نُوسلِمها أو نقوم بأسلمتها أو إسلاميتها ! هذا ما سنبينه إن شاء الله في هذا المبحث الآتي.

¹⁵See for more details: <http://www.theoryofknowledge.net/areas-of-knowledge/the-human-sciences/human-sciences-starting-points.php>, 04.07.2012 – Time browsed 17:35 PM

المبحث الثاني: ما المقصود من مشروع " إسلامية المعرفة " أو " أسلمة المعارف والعلوم "

يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، نحن الشيوخ والدعاة والمفكرين أن قضية إسلامية العلوم أو المعرفة، أو التأصيل الإسلامي للعلوم، هي قضية عظيمة ومسؤولية كبيرة أنيطت على أعناقنا لتصحيح المسار الفكري والمنهجي لهذه الأمة المحمدية وإنقاذها من التخلف العلمي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي. فعندما ننادي " بالتأصيل الإسلامي للعلوم " أو إلى "مشروع إسلامية المعرفة" أو " أسلمة العلوم " فإننا نقصد بها:

1. جانباً أساسياً وأولياً في بناء الإنسان يختص بالفكر والتصور الإنساني القيمي وكيفية بنائه وعلاقته في العقل والنفس والضمير.
2. منهجية إسلامية قوية شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل، وأن الوحي هو مرشد العقل والفرد والمجتمع الإنساني.
3. التأصيل الإسلامي للعلوم المتمثل في القدرات والانجازات العلمية والحضارية الصحيحة كافة، تلك التي توارثتها البشرية وأنتجتها بعد أن تزنها بميزان الإسلام وشمولية قيمه وتوجيهيه.
4. معرفة ناقدة بصيرة تتمثل وتتمكن من كل معرفة صحيحة كانت أو غير صحيحة.
5. معرفة تصدر عن قيم الوحي وغايات الرسالة وتتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكرها على مر العصور والقرون إلى قيام الساعة.
6. عملية ومنهجية مستمرة متجددة بتجدد الزمان والمكان والمعارف والعلوم إلى قيام الساعة.
7. التأكيد أن إسلامية العلوم والمعارف ليست قيماً وغايات فقط وليست تأملات فردية، وليست تاريخاً وتراثاً فحسب، ولكنها سبيل ومنهج لأمر عقلي وعلمية في كل من العلم والمعرفة الاجتماعية والإنسانية والطبيعية والتطبيقية.
8. التأكيد على أن التأصيل الإسلامي للعلوم هي معرفة ربانية القيم وربانية الغايات¹⁶.

¹⁶ أنظر للمزيد من التفاصيل : إسلامية المعرفة: المبادئ: ص 77، 167، 168، 170

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

9. أنها ينبغي اليوم أن تكون على رأس سلم أولويات الأمة، التي تستهدف تطوير منهجية الفكر الإسلامي وتطهيره مما اعتراه على مر العصور إلى يومنا هذا¹⁷.

10. مواكب قدرة العقل والفكر والمنهج السليم وحاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية و المناهج الفكرية و الحضارية اللازمة.

11. أن إسلامية المعرفة لا تعني بحال من الأحوال تناقضاً أو إلغاء لجهود كافة المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في المجالات الحياتية المختلفة بل تعني التكامل معها¹⁸.

12. أن يكون هذا المشروع بمفهومه الشامل إطاراً للحياة الإنسانية والحضارة والإعمار البشري، وغاية كل نشاط وجهاد وعمل وتنظيم اجتماعي إسلامي. غاية واحدة ومسيرة واحدة ولا يصلح إهمال أي جانب منها أو التقليل من شأنه.

13. التأكيد على أن كل تحليل علمي لو كان إسلامياً يجب أن يعمل على كشف ذلك النمط الإلهي في الشؤون الإنسانية وأن يؤكد ذلك الجزء الواقعي منه...، وأن يكشف عن العوامل التي تؤدي إلى تحقيق أو إعاقة إتمام عملية التجسد، وأن يركز على فهم علاقة تلك العملية مع جميع العمليات الأخرى الخاصة بالحياة في الأمة¹⁹.

14. إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي، في الكون والإنسان والاجتماع...، وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف – عن طريق أسلمة فلسفتها – لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي لخلق الله سبحانه وتعالى، الكون والإنسان²⁰.

وبعد هذه الجولة في مفهوم إسلامية المعرفة، نستطيع القول بأن هذا المشروع العظيم الذي أسسه الشهيد إسماعيل الفاروقي رحمه الله وتأسيسه هذا يأتي إتماماً وتكميلاً لما قام به رواد الحركة الحديثة الإصلاحية أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام محمد عبده وغيرهم، وكان هدف هؤلاء السابقين واللاحقين هو إيجاد الربط بين العلوم الشرعية والعلوم الحديثة، وسد هذه الثغرة الموجودة بين النوعين من العلوم – والقيام بنقد بناء للعلوم الاجتماعية من الناحية المنهجية

¹⁷ وللمفكر والفيلسوف الإندونيسي الماليزي صاحب و رائد فكرة إسلامية المعرفة عام 1978 سيد نقيب العتاس جهود مشكورة في هذا المجال، وله مؤلفات عديدة باللغة الماليزية والإنكليزية وبعضها مترجمة إلى اللغة الألمانية. وقد نشرت موقع ويكيبيديا ترجمة عن حياته ومؤلفاته مفصلاً للفائدة العلمية. ثم كان للمفكر الإسلامي الفلسطيني الدكتور إسماعيل الفاروقي عام 1982 جهود مشكورة في إحياء هذه الفكرة إلى يومنا هذا... للمزيد انظر: http://en.wikipedia.org/wiki/Islamization_of_knowledge، تم تصفح الموقع في يوم الأربعاء 05.07.2012، وانظر أيضاً: http://wikiislam.net/wiki/Islamization_of_Knowledge، تم تصفح الموقع في

¹⁸ انظر: الوجيز في إسلامية المعرفة: ص 81 – 82 – 83

¹⁹ انظر رسالة للدكتور الفاروقي: صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، ص 29 - 30

²⁰ محمد عمارة، إسلامية المعرفة، ص 16، وانظر للتوسع: حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد الدين خليل: ص 55 - 70

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

Methodolog والنظرية المعرفية Epistemology، والوجودية Ontology، وقيمية Axiology، وكان هدفهم أيضاً القيام بغربلة هذه العلوم وتنقيتها وتصفيتها على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، بحيث لا يبقى شيء أدنى من تلك العلوم يتعارض مع مبادئ الإسلام. هذا، وتنتمياً للفائدة والأمانة العلمية أرى من الضروري ذكر الأهداف الإسلامية لمفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية التي أشار إليها في دراسته: أساسيات التأصيل...، إضافة إلى الأهداف الأخرى والتي حددتها اللجنة الدائمة في التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية في عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – وقد كان الدكتور مقداد أحد الأعضاء المميزين في هذه اللجنة لعدة سنوات – فجزاهم الله جميعاً على هذا الجهد المؤسسي المبارك.

أولاً: أهداف التأصيل التي ذكرها المفكر الإسلامي التركي فضيلة الدكتور مقداد يالجن:

1. إشعار الناشئين بالاعتزاز بما في ديننا وبإسهامات علماء المسلمين في تأسيس العلوم والنهوض بها قديماً وحديثاً.
2. استبعاد كثير من المفاهيم والأفكار الوافدة والمتناقضة وإزالة تلك المفاهيم على ضوء معايير التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والسلوكية.
3. إطلاع المثقفين المهتمين بالعلوم السلوكية في جميع أنحاء العالم على ما لدى المسلمين من ثروة عظيمة في مجال العلوم الإنسانية وتأثيرهم على مسار هذه العلوم وتوجيهها.
4. استخدام هذه العلوم المؤصلة في بناء الشخصيات العلمية المندفعة إلى السلوكيات الإسلامية العاملة بهذه العلوم.
5. الإضافة إلى هذه الدراسات المنظور الإسلامي، إذ إن ذلك سوف يؤثر في بناء هندسة تلك العلوم.
6. تقويم هذه الدراسات القديمة والحديثة منها في ضوء المعايير الإسلامية، ومعالجة الجوانب السلبية وتدعيم الإيجابية.
7. إبراز أهداف تلك العلوم العامة والخاصة من منظور الإسلام وإبراز أساليب تحقيقها.
8. إيجاد منهج واضح للتأصيل لتلك العلوم عموماً و لكل علم من تلك العلوم بوجه خاص.
9. استخدام تلك العلوم في تدعيم القيم الإسلامية والدعوة الإسلامية كما يستخدمها الغربيون في تدعيم أيديولوجياتهم .
10. إبراز الاصول والأهداف التي يقوم على ضوئها بناء العلوم الاجتماعية.

11. تمكين الدارسين من القدرات التنظيرية للنظريات والأفكار الوافدة على ضوء قواعد ومنهج تفكير واضح ومتناسق مع نفسها.
12. بناء عقلية إسلامية التي تفكر وتخطط وتقوّم وتحل المشكلات على نهج الإسلام.
13. انقاذ الأجيال من التبعية الفكرية والثقافية والعقلية والشخصية الغربية²¹.

ثانياً: ملخص أهداف اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فيما يلي:

1. بيان ما في الشريعة الإسلامية بعامة وما في القرآن الكريم والحديث الشريف بخاصة من مبادئ السلوك، محرّكات الدوافع، طبيعة الفطرة، وسنن الاجتماع، قواعد العمران، ومنهج التربية، وأسس العلاقات الاجتماعية التي تنظم أحوال البشر وتحدد طبيعة مجتمعاتهم وتجمعاتهم...
2. إحياء تراث المفكرين الاجتماعيين المسلمين والرواد لبيان مدى أصالتهم العلمية نظرياً ومنهجياً، وميدانياً في مجال العلوم الاجتماعية ليكون للتأصل خلفيته الواضحة ولتتأكد الرؤية الحقيقية للإسلام الذي هو دين العلم والعمل، العقيدة، العبادة... النظر والتطبيق...
3. غرس الوعي الاجتماعي الإسلامي لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية بعامة، ولدى طلاب الجامعات بخاصة على أساس أنهم الطلائع التي تحمل مشاعل العلم النافع حاضراً ومستقبلاً...
4. تصحيح رؤية الإنسان المسلم إلى واقعه الاجتماعي، ومستواه الحضاري بحيث يؤدي فكره المستقيم هذا إلى وضوح رؤية إسلامية هادية تتأصل في وجدانه وتحدد فكره وسلوكه في علاقته بالله، بالناس وبالمجتمع...
5. مناقشة مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها أداة للإرشاد الفردي والتوجيه التربوي، والضبط الاجتماعي، وذلك من خلال إرسائها قواعد بين الإنسان نفسه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان وغيره من الكائنات ثم بين الإنسان وخالقه جل وعلا...
6. الإفادة- في إطار عملية التأصيل الإسلامي – من مناهج المفكرين المحدثين والمعاصرين في دراسة واقع الإنسان على ألا يكون المنهج مبنياً على فكرة إحادية مهينة لكرامة الإنسان مسقطة لقدره، كمنظريّة التطور وأصل الأنواع، على أن تقوم دراسة النظم والأنساق الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال منهج إسلامي...

²¹ يالجن، مقدار، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص 38 - 39

7. إذا كان المنهج الإسلامي هو أداة أو الطريقة لدراسة النظم والأنساق الاجتماعية في المجتمع الإسلامي في ضوء رؤية ناقدة لما أفرزه الفكر الغربي من نظريات وتعميمات اجتماعية فإن الهداف يتجاوز المنهج والموضوع إلى إبداع الباحث المسلم لقضايا وتعميمات تعبر عن المجتمع الإسلامي وواقعه، لها صفة الجدة والابتكار ، بعيدة عن التقليد، المحاكاة والتبعية.
8. الإفادة من عملية التأصيل في مجال الدعوة الإسلامية وذلك في إطار نظرة إسلامية لا شرقية ولا غربية...، نظرة قوامها الحكمة والموعظة الحسنة، نظرة تكون المجادلة فيه بالتالي هي أحسن، وبهذا يكون للأعلام الإسلامي طبيعته المميزة، ونظرتة القيمة الثابتة [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتالي هي أحسن] [النحل 125]
9. تأسيس (المدرسة الإسلامية في العلوم الاجتماعية) وهي مدرسة في مجال العلوم الاجتماعية تستند في أهدافها ومناهجها وأساليبها النظرية والتطبيقية على مبادئ الإسلام وإحكامه.
10. الانطلاق في الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية من مبادئ وأصول إسلامية مستمدة من الكتاب والسنة والتراث الفكري للأمة الإسلامية.
11. تنقية العلوم الاجتماعية مما شابها من تصورات، مفاهيم واتجاهات منحرفة تنبثق من أصول وثنية أو يهودية أو نصرانية أو من مذاهب هدامة كالشيوعية والوجودية والإباحية، ويتم ذلك بالتقويم العلمي المبني على التصور الإسلامي الصحيح لتلك العلوم.
12. تنقية جميع ما يقدم لطلاب العلوم الاجتماعية في العالم الإسلامي مما يتعارض مع الإسلام لان ذلك يؤدي إلى تحقيق التربية الإسلامية الحقة ويبعد المناهج عن التناقضات الفكرية والانحرافات الناتجة عن غياب الفكر الاجتماعي الإسلامي والمدرسة الإسلامية في العلوم الاجتماعية.
13. تقديم الفكر الإسلامي النقي في مجالات العلوم الاجتماعية للعالم أجمع بالأسلوب المناسب حتى يعرف أصحاب المذاهب الاجتماعية والنفسية والتربوية الأخرى ما تتميز به المدرسة الإسلامية من سمات وخصائص عظيمة منبثقة من عظمة الدين الإسلامي وسموه وقدرته على إيجاد الحلول لكل المشكلات التي تواجه الإنسان في كل عصر ومصر.
14. مواجهة النظريات والأفكار الغربية والشرقية التي لا تتفق مع الإسلام بفكر إسلامي أصيل وواضح مما يؤدي بالضرورة إلى حماية المجتمعات الإسلامية من تلك الأفكار والنظريات المنحرفة ، ولن يتم هذا بالرفض المطلق للفكر الغربي أو الشرقي ، وإنما يتم بتقديم البديل الإسلامي ، وإبراز مواطن الإبداع والتفوق فيه.

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

15. فتح آفاق الإبداع والتفوق أمام الباحثين الاجتماعيين المسلمين، وذلك بإنقاذهم من التبعية الفكرية، وإمدادهم بالأصول الإسلامية للعلوم الاجتماعية مما يجعل لأبحاثهم تميزاً في المنهج وأسلوب المعالجة، ويعطيها صفة الجدة والابتكار لا مجرد التقليد والتبعية لمدارس العلوم الاجتماعية في الشرق أو الغرب.

16. إجراء الدراسات الواقعية عن العالم الإسلامي في مجالات الاجتماع والتربية وعلم النفس للوقوف على واقع هذا العالم ومشكلاته، وتقديم الحلول الإسلامية لتلك المشكلات، مما يؤدي إلى التأصيل الإسلامي لتلك العلوم بهدف تقديم الحلول المناسبة المنسجمة مع العقيدة الإسلامية المستمدة من أصولها.

17. تكوين الشخصية الإسلامية القوية المستقرة التي ربيت على مبادئ الإسلام في التربية واكتسبت الاستقرار النفسي من مبادئ الإسلام النفسية والتي تتعامل مع الآخرين وفق التوجيهات الاجتماعية الإسلامية، وبذا تتحول تلك العلوم إلى سلوك وتعامل.

18. إعداد المعلم والباحث والمفكر المسلم وبناء شخصية كل منهم، وتكوين فكره وفقاً للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة بحيث تتحقق قدراتهم في تربية النشء تربية صحيحة، وتوجيه المجتمع توجهاً سلمياً ينسجم مع مبادئ الإسلام ومثله العليا وقيمه الحضارية.

19. الاستفادة من معطيات العلوم الاجتماعية – بعد تنقيتها – في مجالات الدعوة الإسلامية ومحاربة الغزو الفكري للعالم الإسلامي²².

وبعد هذا البيان عن أهمية إسلامية المعرفة أود أن أنطلق إلى قضية أخرى ألا وهي قضية الوحي والعقل لمعرفة ما إذا كان بينهما تعارض وتناقض، أم بينهما توافق وانسجام، وهل يُستغني عن الوحي كمصدر للمعرفة أم لا؟ وهل هناك ضرورة للوحي الإلهي؟ هذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه في هذا المبحث بإذنه تعالى.

²² التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، اعداد عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د.ت)، ص 30، وانظر: مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسها العامة، للشيخ مناع القطان – مجموعة بحوث مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة 1413، ج1، ص 68، 73، وانظر أيضاً: منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، للأستاذ الدكتور إبراهيم رجب، بحث غير مطبوع 1413، ص 1، وانظر أيضاً: التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف – مفهومه وأهدافه، للأستاذ الدكتور عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة، بيروت 1992، ص 39، وانظر أيضاً: الجامعات الإسلامية والتأصيل الإسلامي للعلوم، للأستاذ الدكتور زكي إسماعيل، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، 1992، ص 9 - 10

المبحث الثالث: الوحي: ضرورته وأهميته، حقيقته، خصائصه، وظيفته.

المطلب الأول: ضرورة الوحي وأهميته

وأما عن أهمية وضرورة الوحي لعننا نجد الإجابة على هذا السؤال فيما يلي من كلام الإمام بديع الزمان سعيد النورسي حيث قال رحمه الله في هذا الصدد: " إن الله - تعالى - الذي خلق هذا الكون؛ إظهاراً لألوهيته ومعبوديته على هيئة كتاب صمداني مجسّم، بحيث تعبر كل صحيفة من صحائفه عن معاني الكتاب...، وخلق على شكل قرآن سبحاني مجسّم؛ بحيث إن كل آية من آياته التكوينية، وكل كلمة من كلماته، بل حتى كل حرف منه، وكل نقطة - بمثابة معجزة تقدّسه وتسبحه...، وخلق على صورة مسجد رحماني مهيب، وزيّنه بما لا يحد من الآيات، والنقوش الحكيمة، بحيث إن في كل زاوية طائفةً منهمكة بنوع من العبادة الفطرية لخالقهم الرحمن؛ فهل يمكن ألا يرسل هذا الخالق المعبود الحق (أساتذة) ليدرسوا معاني ما في ذلك الكتاب الكبير، ويعلموا الناس ما فيه؟ أم هل يمكن ألا يعين أئمة لذلك المسجد الأكبر، ليؤموا الناس الذين يعبدونه بأنماط وأشكال مختلفة من العبادات؟ أم هل يمكن ألا يزود أولئك الأساتذة والمفسّرين والأئمة بالأوامر السلطانية؟ حاش لله وكلاً...، وألف مرة كلاً! ثم إن الخالق الرحيم الكريم، الذي خلق هذا الكون، إظهاراً لجماله ورحمته على ذوي الشعور، وحسن رأفته بهم، وكمال ربوبيته لهم، وليحثهم على الشكر والحمد...، قد خلقه على هيئة دار ضيافة فخمة، ومعرض رائع واسع، ومنتزه جميل بديع، وأعدّ فيه ما لا يُحَدُّ من النعم اللذيذة المتنوّعة المختلفة، ونظّم فيه ما لا يُعَدُّ من خوارق الصنعة وبدائعها الرائعة، فهل يمكن ألا يتكلم هذا الخالق الرحيم الكريم بواسطة رسله مع ذوي الشعور من مخلوقاته في دار ضيافته الفاخرة هذه؟! أم هل يُعقل ألا يعلمهم وظائف شكرهم، وكيفية امتنانهم اتجاه تلك النعم الجسمية، ومهام عبوديتهم اتجاه رحمته السابغة وتودّده الظاهر؟! كلاً...، ثم ألف مرّة كلاً! فبنو آدم قافلة متسلسلة، راحلة من أودية الماضي وبلاده، مسافرة في صحراء الوجود والحياة، ذاهبة إلى شواهد الاستقبال...، فكان لا بُدَّ أن يبرز من ظلمات العدم إلى ضياء الوجود بقدرة سلطان الأزل (الرسل الكرام) الذين اصطفاهم الله من بين البشر، وكلفهم بحمل الأمانة؛ ليقظوا الناس من سباتهم: يا بني آدم من أين؟ إلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من خطيبكم؟ ما دام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجلّي، وأكمل نقش، وأجمل صنعة للحيّ القيوم - جل جلاله...، فإن حياة ذي الجلال السرمديّة الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، إذ لو لم تكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية - ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل - د/خير الدين خوجة

الحياة الأزليّة، فكما أن المتكلم يبين حيويته، وحياته عند حديثه كذلك الأنبياء والكتب المنزلة تبين وتدل على ذلك المتكلم الحي، "النبوة وضرورتها للإنسانية" ²³.

المطلب الثاني: حقيقة الوحي لغة واصطلاحاً

أولاً: الوحي في اللغة: قال بن منظور: " الوحي في اللغة: إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، وفيه أن الوحي بمعنى الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى غيرك، يقال: وحيت الكلام إليه وأوحيت، و أوحى أيضاً كتب.. " ²⁴.
وقال الراغب الأصفهاني: " أصل الوحي الإشارة السريعة " ²⁵.
وقال الزمخشري: " وحي أوحى إليه، ووحيت إليه، إذا كلمته عمّا تخفيه عن غيره، ووحى وحيًا: كتب " ²⁶.

فالوحي كلمة تدلّ على معاني؛ منها: الإشارة، والإيماء، والكتابة، والسرعة، والصوت، والإلقاء في الروح إلهامًا وبسرعة وبشدة، ليبقى أثره في النفس ²⁷، وأصله: إعلامٌ في خفاء، وله صورٌ عدّة، وهي كلّها تنتم في خفاء، فهو الإشارة السريعة، ولتضمنه السرعة قيل: أمرٌ وحي للكلام على سبيل الرمز ²⁸.
ثانيًا: الوحي في الشرع: عرفه الدكتور حسن ضياء الدين عتر - رحمه الله - "...وزبدة القول أن الوحي شرعاً: إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة، بملك أو بدون ملك" ²⁹.
وقال الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني إن الوحي: " أن يُعلم الله - تعالى - من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرّية خفية غير معنّاة للبشر، ويكون على أنواعٍ شتى، فمنه ما يكون مكالمة بين العبد وربّه؛ كما كلم الله موسى تكليمًا، ومنه ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب مُصطفاه على وجهٍ من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكًا، ومنه ما يكون منامًا صادقًا يجيء في تحقّقه ووقوعه كما يجيء فلقُ الصُّبح في تبأجه وسطوعه، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل - عليه السلام - وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها، ووحى القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي ³⁰.

²³ خديجة النبراوي، بديع الزمان سعيد النورسي، سوزلر للنشر، تركيا، ط1، 2000، ص 8-9.

²⁴ لسان العرب - محمد بن منظور الإفريقي المصري، مادة (وحي) ج 4، ص 125

²⁵ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص 530

²⁶ الزمخشري، أساس البلاغة، ص 101

²⁷ عادل زاير، معجم ألفاظ العلم والمعرفة، ص 21

²⁸ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص 530

²⁹ انظر: وحي الله ص 90

³⁰ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1995، ص 46.

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية - ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل - د/خير الدين خوجة

أما المعنى الشرعي القرآني للوحي فقد جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثمانية وسبعين موضعاً، بالاستقراء نجد استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفي السريع. وقد ذكر علماء التفسير وعلوم القرآن سبعة أوجه للوحي في القرآن الكريم:

- 1- الإرسال: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ] [النساء: 163]، {وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ} [الأنعام: 19].
- 2- الإشارة: [فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا] [مريم: 11]، والبيان: [قَالَ أَيُّنْكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا] [آل عمران: 41]، والرمز الإشارة بالشفة والصوت الخفي، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز³¹، فكان الكلام المستثنى من الحكم هو (الوحي والرمز) بمعنى الإشارة.
- 3- الإلهام: [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] [النحل: 68]، [وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى] [القصص: 7]، فهو "إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، ويخص به بعض أصفياه"³²، وهذا خاص بالبشر، أما البهائم فهو غريزة تجعلها تحس ما ينفعها وما يضرها. قال الرازي: "قوله [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] يقال: وحى وأوحى، وهو الإلهام، والمراد من الإلهام أنه - تعالى - قرّر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر"³³.
- 4- الأمر: [يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا] [الزلزلة: 4-5]، وقوله تعالى: [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا]، [الأنفال: 12]
- 5- القول والكلام المباشر: [فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى] [النجم: 10].
- 6- الإعلام: بالإلقاء في الروح وهو خاص بالأنبياء: [وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا] [الشورى: 51].
- 7- الوسوسة: [يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا] [الأنعام: 112].

"فالوحي من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يُوجّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم

³¹ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني، دار القلم، دمشق، 2002، ط3، ص 209

³² الزبيدي، تاج العروس، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2001 ج9، ص 67

³³ التفسير الكبير للفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2001 ج 10، ص 73

الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحى الشياطين ويسمى بالوسوسة³⁴.

ثالثاً: حقيقة الوحي القرآني:

قد يظن البعض أن الوحي شيء خيالي، وليس له حقيقة محددة أو معنية، فلأجل ذلك كل ما يقال عن الوحي هو عبارة عن الوهم والخيال وليس له علاقة بالحقيقة! ولكن الأمر خلاف هذا، فإن التاريخ الإسلامي منذ بدايته مليء بالشواهد والأدلة القاطعة التي تنقض هذا الزعم الباطل، وهذا الافتراء المبين.

من هذه الأدلة والبراهين الساطعة على أن الوحي كان حقيقة ثابتة ومشاهدة من قبل الصحابة، وأنهم رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه، وكان لهذا الوحي الإلهي هيمنة و سيطرة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الناظر يشهد آثارها عليه أثناء نزوله. قال تعالى: [وَإِنَّكَ لَلنُّقْى الْقُرْآنَ مِّنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ] [النمل: 6]

ومن هذه الحوادث لمشاهدة الوحي، ما روى البخاري في أول صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: [أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حيب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه...، حتى جاءه الحق، فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ...]. وروى الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، و أحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً]³⁵.

وروى الإمام البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: [لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ] [القيامة: 16]، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفثيه، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله يحركهما.

³⁴ محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي"، دار الكتاب، الجزائر، ط 1، 1989، ص44

³⁵ صحيح البخاري بشرح بن حجر العسقلاني، في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و مسلم، دار القلم، بيروت، 2007، ج 1، ص5. و انظر للتوسع: وحي الله، ص 1، فما بعد

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: [بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه إلى فخذه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة...] الحديث المشهور.

وهناك روايات أخرى صحيحة تثبت بأن ظواهر الوحي كما تحدثت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما عاينها أصحابه لأدلة قاطعة تنفي التوهم بأن الوحي شيء متكلف مصنوع أو أنه أمر تحضيري يستجمع له الفكر والرواية. هذه الروايات السابقة تثبت يقيناً أن الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم أمر سوي لا اعتلال معه، إلزامي لا اختيار فيه، وأنه تلقين من الله العزيز الحكيم بقوة وقدرة وهيمنة وسيطرة وحكمة ورحمة.

المطلب الثالث: من خصائص الوحي القرآني:

هذا الوحي الإلهي أو الرباني الذي نحن بصدد الحديث عنه له خصائص معينة، يختلف جذرياً عن بقية العلوم وشرائع الأديان الأخرى، فمن هذه الخصائص نوجز ما يلي حتى يناسب المقام:

1- أن الوحي كله؛ قرآناً وحديثاً إلهي المصدر، ولا مدخل لذات النبي صلى الله عليه وسلم فيه بوجه سوى التحمل والتبليغ للناس. أما القرآن فهو إلهي المصدر لفظاً ومعنى، وأما الحديث فهو إلهي المصدر في معناه دون لفظه. قال تعالى: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] [النجم: 3 – 4]

2- الوحي قرآناً وحديثاً منه ما هم قطعي الورد، أي تثبت له صفة الوحي على وجه القطع، ولكن دلالاته قد تكون قطعية وقد تكون ظنية.

3- عض ما جاء في الوحي منسوخ ببعض آخر، فالقرآن قد ينسخ القرآن والحديث، والحديث قد ينسخ الحديث، وهذا النسخ قد يكون في اللفظ والحكم وقد يكون في اللفظ دون الحكم والعكس كذلك.

4- الوحي حقائقه مطلقة غير خاضعة للتعقيب الإنساني في ذاتها ودور الإنسان إزاءها دور الاستجلاء والاستنباط فقط، لأنها نابعة من علم إلهي مطلق بما هو كائن في عالم الغيب وبما

ينبغي أن يكون في حياة الإنسان، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] [الأحزاب: 36]

5- ما جاء في الوحي لا يخالف قضايا العقل ومبادئه، بل هو جار على مقتضاها، وما يظن أنه مناقض للعقل ليس إلا متعالياً عن فهمه دون أن يكون مناقضاً له.

6- خطاب الوحي خطاب كلي للناس كافة، سواء كان في صيغته اللفظية كلياً أو جزئياً إلا ما جاء دليل على تخصيصه، لأن الإسلام جاء يخاطب كل البشر: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] [السبأ: 28]، هو ما يقتضي أن تكون عمومية الخطاب مطلقة من قيود الزمان والمكان والبعض.

7- الوحي منضبط في نص يجري على أساليب العرب في القول واللغة، فاستكشاف معانيه وفهم نصوصه تكون على أساس تلك الأساليب.

8- إن الوحي حدث تلقائي فجائي طرأ على الحياة من اصطفاه الله للرسالة والنبوة دون سابق توقع أو تطلع، وأن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يستشرف الوحي، ولم يتأهب له، وأن الوحي طرق حياة الرسول صلى الله عليه و سلم ليلاً ونهاراً، في سفره حضر، ركباً وجالساً.

9- حصل الوحي وفق الاصطفاء الإلهي بعد أن اشترأبت و طمعت أعناق المشركين إلى مقام النبوة بعد أن سمعوا آيات الله الباهرات ورأوا ما أجراه الله على يد محمد صلى الله عليه و سلم من معجزات قاهرات، تملك الحسد قلوبهم كيف تكون النبوة خاصة بمحمد وفيهم من الزعماء من تعظمهم قبائل العرب؟! قال تعالى: [وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] [الأنعام: 124]، وقال تعالى: [وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْيَةِ عَظِيمٍ] [الزخرف: 31]

10- الوحي نور على نور، قال تعالى: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] [السورى: 52]، وقال تعالى: [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ] [المائدة: 15].

11- الوحي حق، قال تعالى: [وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا]

[الإسراء: 105]، وقال تعالى: [الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] [آل عمران: 60]،

وقال تعالى: [وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] [يونس: 53]

12- الوحي هدى ورحمة وشفاء، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا

فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ] [يونس: 57]، وقال تعالى: [وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ

شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا] [الإسراء: 82]

وماذا بعد النور والحق و الهدى والرحمة والشفاء؟! ليس بعد النور إلا الظلام، وليس بعد الهدى إلا

الضلال وليس بعد الحق إلا الباطل، وليس بعد الرحمة إلا الشقاء.³⁶

المطلب الخامس: وظيفة الوحي

وبعد عرض هذه القضايا الموجزة والمتعلقة بالوحي، لا بد لنا من معرفة وظيفة هذا الوحي و دوره

في حياتنا. وللاستاذ الإمام محمد عبده في: رسالة التوحيد، كلام نفيس حول هذه المسألة يتناسب مع

المقام سأوجز أهم الأفكار التي أشار إليها. فهو رحمه الله عندما تكلم عن وظيفة الرسل عليهم الصلاة

والسلام، رتب وظائفهم مع التركيز على أهمية اتباعهم:

أن الرسل في الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص.

أرسلهم الله تعالى لحاجة العقول البشرية و أرواحهم لتطهير باطنهم وظاهرهم.

• يتحقق الخير في الحياتين في اتباعهم بإخلاص.

• التفصيل في طرق المعيشة والشطارة في كسب العيش ليس للرسالات دخل فيه إلا العظة

العامّة

والإرشاد إلى الاعتدال فيه.

• يرشدون العقل في معرفة الله وصفاته و يبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك

العرفان.

• يجمعون كلمة الخلق على إله واحد، ويحاربون العقيدة الوثنية، ودحضوا تحريف أهل الكتاب

بنسبهم الولد إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

³⁶ انظر: منهج التفكير الإسلامي: 17 – 22 ؛ خلافة الإنسان بين العقل و الوحي، ص70 فما بعد؛ وحي الله، ص 113 – 122؛ وخصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب: 71 فما بعد.

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

- يذكرون بعظمة الله وذلك بضرب ضروب من العبادات في مختلف الأوقات تذكرة لمن ينسى، وتركية مستمرة لمن يحشى تقوي الضعيف منهم وتزيد المستيقن يقيناً.
 - يبينون للناس ما اختلف في ذلك عقولهم وشهواتهم وتنازعت مصالحتهم ولذاتهم فيصلون الناس بأمر الله تعالى.
 - يعلمون الناس حسن الأخلاق والصبر والألفة والمحبة والأخوة يبشر فيهم بالخير وينذرونهم من الشر.
 - يضعون لهم بأمر الله حدوداً هامة، كاحترام الدماء البشرية، إلا بحق، واحترامهم الأعراض، والصدق والأمانة والوفاء بالعقود والمحافظة على الحدود، والرحمة بالضعفاء، والأقدام على نصيحة الأقوياء، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء.
 - ليس من وظائف الرسل ما هم من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات، فليس مما جاءوا به له تعليم التاريخ وتفصيل عن عالم الكواكب وطبقات الأرض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج إليه النباتات في نموها، ولا ما افتقر إليه الحيوانات في بقاء أنواعها.
 - أما ما ورد في كلام الأنبياء من الإشارة إلى شيء مما ذكرنا في أحوال الأفلاك أو هيئة الأرض، فإن القصد من ذلك توجيه الفكر إلى الغوص لإدراك أسرارها³⁷.
- ويضيف الدكتور حسن ضياء الدين عتر – رحمه الله – في هذا الصدد:
- " فالوحي يلقي إلى النبي عقيدة مميزة ليناهاض بها العقيدة الشعبية السائدة الراسخة، ويغير القيم والمفاهيم ويقلب الأوضاع، وهذا أمر لا تستحسنه الذات الإنسانية ولا تسعى إليه إن تعلقت بزعامة أو حرصت على جاه... " ³⁸
- ويذهب الأستاذ الإمام محمد عبده إلى أبعد مما ذكر آنفاً، حيث قال:
- " إن العقل وحده لا ينتقل إلى ما فيه سعادة الأمم بدون رشد إلهي، كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها السمع لإدراك المسموعات مثلاً، وكذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتهيه على العقل من وسائل السعادات... " ³⁹
- وفي حديث الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - عن خصائص ومقومات التصور الإسلامي والتفسير الشامل للوجود والإنسان قال إن:

³⁷ رسالة التوحيد: محمد عبده، 93-100، بتصريف، وانظر: وحي الله: ص 124 - 125

³⁸ وحي الله، ص 124

³⁹ رسالة التوحيد ص 101

• " تحديد خصائص التصور الإسلامي ومقوماته مسألة ضرورية لأسباب كثيرة منها: ضرورة لأنه لا بد للمسلم من تفسير شامل للوجود يتعامل على أساسه مع هذا الوجود...، لا بد من تفسير يقرب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها...، وضرورة لأنه لا بد للمسلم من معرفة حقيقة مركز الإنسان في هذا الوجود الكوني، وغاية وجوده الإنساني...، فنوع النظام الذي يحكم الحياة الإنسانية رهين بذلك التفسير الشامل ولا بد أن ينبثق منه انبثاقاً ذاتياً...، ضرورة لأن هذا الدين جاء لينشئ أمة ذات طابع خاص متميز متفرد...، وهي في الوقت ذاته أمة جاءت لقيادة البشرية وتحقيق منهج الله في الأرض، و إنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة والتصورات الضالة... " 40 .

وذكر مؤلف كتاب (الإسلام والعقل) محمد جواد مغنية، مقالاً بعنوان: الرسالة والرسول، وفي بداية المقال تحدث عن الدكتور نظمي لوقا من الأقباط المصريين وهو أديب وعالم وله مؤلفات كثيرة، منها: (محمد الرسول و الرسالة)، ذكر فيه وظيفة الوحي قائلاً:

• ["... تحسين حال الجماعة تحسیناً ينعكس على كل فرد، وترتبط حسن الأخلاق بالمصلحة الاجتماعية، فالخير أن تبغى الرزق بالعمل وتتعاون مع الناس على البر والتقوى، والشر أن تعيش على حسابهم، وتتخذ من الرياء والنفاق أداة للكسب، وهذه هي شريعة الحياة بعينها وتتفق مع الفطرة، وتسائر التطور الطبيعي، وتسمح للإنسانية بالتسامي إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه... "] 41 .

• ويزيد المسألة توضيحاً أكثر المفكر الإسلامي السعودي الدكتور عبد الحميد سليمان مبينا وظيفه الوحي: "فدور الوحي الرباني هو في إمداد العقل المسلم بحاجته من علم عالم الغيب وتوضيح غايته الخيرة من خلق الإنسان في عالم الشهادة ودوره في خلافة الأرض... " 42 .

ولقد تقرر لدى علماء الاصول أن حقائق الوحي لا تتعارض مع حقائق العقل، ونقصد بحقائق الوحي ما كان منه قطعياً، فالقطعي من الوحي لا يتعارض مع ما وصل إليه العقل من حقائق، هذا هو الأصل؛ فإن حدث التعارض نتبع الآتي:

40 سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، 2000، ط4، ص 5-7

41 نقلاً عن كتاب: الإسلام والعقل، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ط2، 97

42 انظر: عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالا لامبور، ط1، 1997، ص 120 فما بعد

- 1- فإن قطعي الوحي يتقدم قطعي العقل، وذلك للآية في القرآن الكريم: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] [الحجرات: 1]، وبالنظر والتدقيق سوف يظهر أن هذه الحقائق العقلية التي تعارضت مع حقائق الوحي لم تكن حقائق، وإنما كانت نظريات أو فرضيات.
- 2- إن قطعي الوحي يتقدم ظني العقل، وذلك من باب أولى، فلا يمكن بنظرية أو فرض لا يزالان في مرتبة الظن أن تتقدما الوحي ما دام قطعياً.
- 3- وظني الوحي يتقدم ظني العقل، لأنه إذا تساوا في الظن فالوحي أولى بالتقدم⁴³.

⁴³ انظر: منهج التفكير الإسلامي 39 – 41، و انظر أيضاً: التعارض و الترجيح و أثرهما في الاختلاف، ص 10 – 100، وانظر: إسلامية المعرفة - المبادئ ص 115 - 116

المبحث الثالث: مصادر المعرفة عند الغربيين وتكامل الوحي والعقل في الإسلام

المطلب الأول: مصادر المعرفة عند الغربيين

وقد هبط فلاسفة الغرب ومن نهج نهجهم إلى هاوية الشكوك والأوهام عندما أخرجوا مصدر الوحي الإلهي الحق من قائمة المصادر العلمية والمعرفية، وكان لهذا العمل المشين والأحمق نتائجه السيئة فيما بعد على مستوى الفكر والثقافة والعلوم الغربية. ومن بين الرسائل العلمية الجامعية في مسألة مصادر المعرفة الغربية لفت نظري رسالة الدكتور رياض صالح جنزلي - دكتوراه دولة في التربية الإسلامية من جامعة أم القرى في مكة المكرمة، في رسالته الموسومة بـ: **الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة**، وفي حديثه عن: أنواع المعرفة لدى المدارس والمذاهب الفكرية في الفصل الثاني من رسالته أذكر ما ملخصه: " **النوع الأول: المعرفة الفلسفية أو التأملية**: ويمثل هذا النوع من المعرفة الفيلسوف اليوناني (أفلاطون) حيث يضع التأمل العقلي في المعاني الكلية أساساً للمعرفة الحقة التي ينبغي للإنسان أن يسعى إليها...، وتقوم هذه المدرسة على التفكير أو التأمل فيما وراء الطبيعة كالحياة والموت، والخالق، والخلود، وأصل الكائنات...، **النوع الثاني: المعرفة الحسية**: تعتمد هذه المدرسة على إن الحواس هي المصدر الأساسي للمعرفة البشرية، إذ إن الإنسان أول ما يعتمد على حواسه الخمس في معرفة ما حوله، فبتعطل حاسة من هذه الحواس يتعطل لدى الإنسان مصدر من مصادر المعرفة، فهو كما قال أرسطو: (إن من فقد حساً ما فقد علماً ما)...، **النوع الثالث: المعرفة التجريبية أو العملية (البرجماتية)**. تنطلق هذه المدرسة من الحواس وتنتهي بالتجربة، فهي لا تفصلهما عن بعض بل تربط بينهما ربطاً وثيقاً وتعتبر الحواس طريقاً أساسياً للتجربة العلمية...، هذه المدرسة تعتبر التجربة هي الأساس الوحيد للحكم الصحيح والمقياس الأساسي لكل مجال من مجالات المعرفة والفكر والحياة...، **النوع الرابع: المعرفة العقلية**: تعتبر هذه المدرسة العقل هو المصدر الأساسي للمعرفة البشرية لأن الإنسان قادر منذ ولادته على التفكير بعقله، وأن العقل قادر على إدراك المعرفة لما فيه من ميزات الشك والفهم والإثبات...، أما **المعرفة عن طريق الوحي** فإنه لم يكتب لها النجاح في الفكر الغربي منذ دخوله في المسيحية إلا في فترة محدودة في العصور الوسطى، ثم بعد ذلك تصادمت مع المنطق اليوناني الذي يقر بالمعرفة البشرية فقط، حسية كانت أو عقلية، أو فلسفية تأملية. أما المعرفة في الإسلام تشمل كل ما يمكن أن يزود الإنسان بمعرفة ما، تزيد من خبرته في الحياة أو تنير عقله، ليدرك ما حوله، مستخدماً لكل نوع من المعرفة الوسيلة الملائمة له. لذلك لا وجود للتفاضل بين أنواع المعرفة لأن كل نوع مهم ومطلوب وكل ضمن

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

تخصصه، ليتحقق للإنسان الإيمان بوجود إله عظيم ينظم هذا الكون بقدرته...، فالمعرفة كما عرفها الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني الدمشقي السوري⁴⁴: " عملية تتعاون فيها وسائل الحس الظاهرة والباطنة، والآلات والأدوات التي تستخدمها الحواس وموازين العقل الفطرية والمكتسبة ومعارفه السابقة التي اكتسبها بنفسه، والتي تلقاها عن غيره مما اكتسبه الآخرون من معارف، يضاف إلى ذلك ما يوحي به الله لأنبيائه من معارف تكون لديهم علوماً يقينية أو شبيهة بالعلوم اليقينية التي يكتسبها الناس العاديون⁴⁵. إذن أعود وأؤكد القول بأن التربية الإسلامية أو إسلامية المعرفة في نظرتها لمجالات المعرفة المتعددة يتضح في التأصيل والتأكيد على ضرورة تكامل هذه المجالات وتعاضدها وتدرجها ليرقى الفكر الإنساني ويصل إلى حقائق الكون الثابتة الأزلية أو الحقيقة الكبرى. ويرى هذا الأمر في الإسلام عند تقسمة الوجود إلى عالم شهادة وعالم غيب، لكل عالم من العالمين وسائل معرفة خاصة به، ومن الخطأ استعمال وسيلة خاصة بعالم الشهادة في مجالات تتعلق بالغيب وبالعكس، وأن المسلمين أدركوا أن عالم الشهادة من وسائله الحواس والعقل والتجربة، وأما عالم الغيب فوسائله الوحي والتفكير والإلهام. ويقول بن تيمية رحمه الله: (طرق العلم ثلاثة: الحس و العقل، والمركب منهما، كالخبر، فمن الأمور ما لا يمكن إلا الخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين، كالخبر المتواتر وما يُعلم بخبر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين)⁴⁶. ويقول الإمام الغزالي: (إن وسائل المعرفة في عالم الشهادة هي: العقل، و التجربة، و الاستقراء والقياس). أما عالم الغيب فإن وسائله هي: (الوحي والالهام والكشف).

والخلاصة: أن أكبر خطأ وقع فيه الفكر الغربي هو إفراد كل نوع من أنواع المعرفة عن غيره من المعارف وجعله هو الطرق الأوحده للمعرفة الحقيقية، وأن المعرفة الغربية ومن سار في نهجها تعتبر

⁴⁴ أعددت هذا البحث في وقت محرج للغاية، حيث الأزمة الحربية الشرسة لا هوادة فيها لإخواننا وأخوانتنا السوريين والسوريات، وقد دخلت هذه الأزمة الوحشية والقمعية شهرها السادس عشر منذ أن انطلقت شرارة الثورة السورية في مارس 2011 إلى هذا اليوم الموافق 05.07.2012، حيث القتل والقصف والضرب والذبح والسجن والتشريد والحرق والتدمير والتنكيل والاعتصام وانتهاك للأعراض ومحارم الله، والدفن للشباب وهم أحياء... والله... تفضلوا زوروا موقع يوتيوب لتروا هذه الحقائق المسجلة بالصوت والصورة من قبل الشبيحة والمرتزة الكفرة الفجرة، قوات النظام السوري العلوي النصيري تحت رئاسة بشار الأسد، والمدعوم من إيران وحزب الله لبنان وروسيا والصين، قبح الله رؤساء تلك الحكومات الجائرة والمتعاونة على القتل، حيث تمارس هذه الوحشية علنا وجهارا يوميا، والعالم (الغرب والشرق) المتحضر والمتقف!! يتفرج على أشلاء ودماء الشيوخ والنساء والأطفال والشباب على شاشات القنوات الفضائية، وهم لا يزالون ينتظرون قرارات مجلس الأمن في مؤتمر جنيف قبل يومين والقااهرة واسطنبول!!! وينظرون مدى تطبيق النظام السوري لخطة الوسيط الدولي ذات البنود الست – خطة كوفي عنان؟؟ وكأنها خطة سماوية منزلة لحل الأزمة!! ولا يرى الحلف الاطلسي للدخل العسكري خشية التصعيد في المنطقة!! وماذا بقي بعد هذا التصعيد الحالي؟ وقد وصل عدد القتلى والشهداء إلى عشرين ألفا قتيلا! والله لو دبحت ألف دجاجة أو ألف فأرة وأريقت دماؤها في الشوارع كما في المشهد السوري لتحرك الغرب عن بكرة أبيهم بحجة الدفاع والمحافظة على حقوق الحيوان!! بينما دم المسلم لا أحد يبالي به – لا في الشرق ولا في الغرب – إنها مجرد هتافات وشعارات لا تسمن ولا تغني من جوع، لا في فلسطين، ولا في أفغانستان، ولا في سوريا ولا في اليمن...! إلى متى هذه الحال؟ العلم عند الله لا يجليها لوقتها إلا هو سبحانه. ونحن متفائلون والأمل في الله كبير في نصره الحكومة المصرية الحالية، حكومة الإخوان المسلمين في مصر تحت رئاسة د/محمد مرسي في نصره واسترجاع كرامة المسلمين في مصر أولا ثم في العالم الإسلامي والعربي ثانيا إن ذلك على الله يسير وما ذلك على الله بعزيز، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

⁴⁵ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، أصول الاستدلال والمناظرة: ص 126 - 127

⁴⁶ الرؤية الإسلامية نقلًا عن درء العقل والنقل لابن تيمية

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية - ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل - د/خير الدين خوجة

معرفة ناقصة لأنها أهملت بل رفضت نوعاً هاماً وأساسياً من أنواع المعرفة وهي المعرفة عن طريق الوحي، أما المعرفة الإسلامية فإنها تؤكد على أهمية المعرفة عن طريق الوحي وتعتبرها من أهم أنواع المعرفة. إن الفكر الإسلامي هو الفكر الوحيد الذي استطاع أن يضع نظرية المعرفة ضمن إطارها المتكامل إذ جمع بين المعرفة البشرية والمعرفة السماوية...⁴⁷

المطلب الثاني: تكامل الوحي والعقل في الشريعة الإسلامية

إن تكامل الوحي والعقل عند المسلم الصحيح العقيدة قضية بديهية أساسية تنبع في العقيدة الإسلامية. إن العقل والوحي ضروريان ومتكاملان لتحقيق الحياة الإنسانية الصحيحة في هذه الأرض. العقل وجد بوجود الإنسان، وكذلك الوحي وجد بنفس الوقت بوجود هذا العقل الإنساني، حتى يرشد هذا العقل ويعلمه من علم الله عز وجل له، اقرأ الآيات في سورة البقرة في قصة آدم بنأمل وتمعن فستجد هذا الكلام موجود هنالك بالضبط، قال تعالى: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] [البقرة:30-33]

فالركن الأول للتكامل بين الوحي والعقل لدى المسلم هو أن الوحي يجب أن يكون عنده مرجع كلييات الوجود، وأن العقل يجب أن يصول ويدور ويبحث في إطار هذا الوحي. والركن الثاني للتكامل الصحيح بين الوحي والعقل هو فهم الأسلوب في التعامل مع الوحي والعقل والتفاعل بينهم. وهكذا يظل الوحي والعقل في الحقيقة عند المسلم على كل الأحوال متكاملين متعاونين كمصدرين للفكر والعمل والتنظيم والسعي الإنساني، وكل تعارض فهو تعارض وهمي يُحَلُّ بمزيد من الفكر والتدبر والتمحيص والشمول ويزول وهم التعارض وتتضح مقتضيات المصلحة الإنسانية التي تستهدفها مقاصد الشريعة الغراء.⁴⁸

وللإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله كلام نفيس عن العقل أرى من الفائدة نقله حيث قال:

" الله عز وجل في خلقه رسولان: أحدهما: من الباطن، وهو العقل، والثاني: من الظاهر، وهو الرسول.

⁴⁷ المرجع السابق بتصريف شديد

⁴⁸ انظر: إسلامية المعرفة- المبادئ: ص 115-116، منهج التفكير الإسلامي: ص 39- فما بعد، وانظر: ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة عبد الرحمن حنيفة الميداني، دار القلم، دمشق، 1998، ط2، ص 130-132

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

ولا سبيل لأحد إلي الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن، فالباطن يعرف صحة دعوي الظاهر، ولولاه لما كانت تلتزم الحجة بقوله: ولهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل، فأمره بأن يفرع إليه في معرفة صحتها. فالعقل قائد، والدين مدد، ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقياً، ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائراً، واجتماعهما – كما قال الله تعالى: [نور علي نور] [النور: 35] 49.

ويؤكد ذلك مُعاصر الراغب: الإمام أبو حامد الغزالي في عدد من كتبه. ففي مقدمة (المستصفى) يعتبر العقل: القاضي الذي لا يُعزل ولا يبدّل، والشرع: الشاهد المُزكّي المُعدّل، ويجعل العقل مركب الديانة، وحامل الأمانة 50.

ويقول حجة الإسلام أيضاً: " وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم انه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟ فليت شعري كيف يفرع إلى العقل من حيث يعتز به العي والحصر؟ أو لا يعلم ان العقل قاصر وأن مجاله ضيق منحصر؟ هيهات قد خاب على القطع والبتات وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات إن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر، في غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور علي نور. وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر البحث والنظر؟! أو لا يعلم أنه لا يستند للشرع إلا قول سيد البشر، صلى الله عليه وسلم؛ وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر...، وعند إشراق نور الحكمة يصير الإنسان مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة. وأعظم الحكمة كلام الله تعالى، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الإبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نوراً، كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن: نور الشمس، ومثال العقل: نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: [فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا..] [التغابن: 8] -...، ولا يبعد – أيها المعتكف في عالم العقل – أن يكون وراء

49 انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الاصفهاني، ص207 بتحقيق د. أبو اليزيد العجمي، طبع دار الصحوة بالقاهرة.

50 انظر: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، المستصفى، دار الكتب العلمية - بيروت، 1413 هـ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، ج1،

العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل، كما لا يبعد كون العقل طوراً وراء التمييز والإحساس ينكشف فيه غرائب، وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز، فلا تجعل أقصى الكمال وفقاً علي نفسك...، والأصل في ذلك أن وراء ما يتصوره العقلاء أموراً ورد الشرع بها، ولا يعلم حقائقها إلا الله تعالى والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده...، والوحي الإلهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل...، وليس كل ما لا يدركه العقل محالاً في نفسه...، وفرق بين البعيد والمحال، فإن البعيد هو ما ليس بمألوف، والمحال ما لا يتصور كونه...، ولهذا كان رأس مال كل السعادات العقل...، ولقد تحقق أهل السنة أنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، وعرفوا أن من ظن من الحشوية – الظاهرية – وجوب الجمود علي التقليد واتباع الظواهر، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتي صاموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أولئك إلي التفریط، وميل هؤلاء إلي الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط...⁵¹.

وللإمام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله كلام نفيس في كتابه: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، في الجزء الأول، أنصح القارئ الكريم بالرجوع إليها، فلو لا ضيق المقام لعشنا وإياكم مع فقرات كثيرة من ذلك الكتاب العظيم، ولكن ما لا يدرك جلّه لا يترك كله، فأذكر ولو شيئاً يسيراً من كلامه لنرى العلاقة القوية بين العقل والنقل حيث أنه لا يقوى انفراد أحدهما دون الآخر، ولا جدوى من وجود أحدهما دون الآخر. قال رحمه الله:

" إن ما عرف بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه منقول صحيح قط. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك. ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟ ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، بل يخبرون بمجازات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته..

⁵¹ انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: أبو حامد الغزالي، مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwaraq.com>، الكتاب مرقم ألبا غير موافق للمطبوع

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خيرالدين خوجة

والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فالحق لا يتناقض، والرسل إنما أخبرت بحق. والله فطر عباده علي معرفة الحق، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة. قال الله تعالى: [سنُريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] [فصلت 53] - فأخبر أنه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول... "52.

52 أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس، درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية - الرياض ، 1391، تحقيق أحمد رشاد سالم، ج1، ص 80

الخاتمة

الحمد لله الواحد الأحد والفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. والحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات وتحقق القربات وتتجز الأعمال الصالحات المباركات مثل كتابة البحوث والورقات لتقديمها في المؤتمرات والندوات لنشر المعارف والعلوم والثقافات، وبذلك يعم الخير أرجاء البلاد وننال من ورائها إن شاء الله الدعوات الصالحات من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والطلاب والطالبات والمفكرين والمفكرات والعالمين والعالمات. هذا، ونظرا لضيق الوقت – حيث الليلة آخر موعد لتسليم البحث -، و ضيق مساحة الدراسة – حيث بلغت صفحات هذا البحث فوق الثلاثين – أقول إنني أجدني مضطرا لعدم كتابة وتسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، عسى ولعل الله يعفو عني وعن جميع المسلمين، إنه تعالى سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه خادم القرآن والسنة

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

الدوحة – قطر

في سحر يوم الجمعة السابع عشر من شعبان 1433 هـ الموافق 6 يوليو 2012 م

قائمة المصادر و المراجع

1. أزمة العقل المسلم، د/عبد المجيد أبو سليمان، ط2، دار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، 1992مدخل إلى إسلامية المعرفة، د/ عماد الدين خليل، IITM
2. أساس البلاغة، محمود جار الله الزمخشري ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2002، ط2
3. الإسلام و العقل، محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، لبنان 1984
4. إسلامية المعرفة - المبادئ العامة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1986
5. إسلامية المعرفة، د/ محمد عمارة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا 1996
6. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، مصدر الكتاب : موقع الوراق الكتاب مرقم أليا غير موافق للمطبوع
7. بديع الزمان سعيد النورسي، خديجة النبراوي سوزلر للنشر، تركيا، ط1، 2000
8. تاج العروس، الزبيدي دار المعرفة، بيروت، ط3، 2001 ج9،
9. التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، اعداد عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د.ت)
10. التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي، د/محمد إبراهيم الحنفاوي، دار الوفاء، المنصورة ط2 ، 1987
11. التفسير الكبير للفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2001
12. التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف – مفهومه و أهدافه، للأستاذ الدكتور عدنان زررور، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1992
13. الجامعات الإسلامية والتأصيل الإسلامي للعلوم، للأستاذ الدكتور زكي إسماعيل، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، 1992
14. حول تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل – المعهد العالمي للفكر الإسلامي
15. خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، 2000، ط4،
16. خلافة الإنسان بين العقل و الوحي، عبد المجيد النجار، بيروت، 2005
17. خلافة الإنسان بين الوحي و العقل ، د/ عبد المجيد النجار – IITM
18. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ، دار الكنوز الأدبية - الرياض ، 1391، تحقيق أحمد رشاد سالم

19. الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الاصفهاني، ص207 بتحقيق د. أبو اليزيد العجمي، طبع دار الصحوة بالقاهرة.
20. رسالة التوحيد: محمد عبده، دار الشروق، القاهرة، 1996، ط3
21. رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، دار الشروق، القاهرة، 1990، ط3
22. الرؤيا الإسلامية لمصادر المعرفة، د/ رياض صالح جبنزربي، دار البشائر الإسلامية، ط – 1994
23. صحيح البخاري بشرح بن حجر العسقلاني، ، دار القلم، بيروت، 2007
24. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط4، 1993
25. الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة ، دار البحوث العلمية – الكويت، 1404 هـ
26. القرآن الكريم، طبعة المدينة المنورة
27. لسان العرب – محمد بن منظور الإفريقي المصري، بيروت، دار المعرفة، 2002، ط2
28. مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث: ص 48 – بحث د/ إبراهيم رجب
29. مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث ، يناير 1996
30. مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخامس ، يوليو 1996
31. مجلة إسلامية المعرفة، العدد السادس، سبتمبر 1996
32. مجلة التجديد، العدد الثالث، فبراير، 1998 م
33. مجلة الكلمة، العدد السابع، 1995 م
34. محاضرات في المنهجية الإسلامية ، د/ طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا 1996
35. محاضرات في المنهجية الإسلامية، عمر إبراهيم أحمد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا 1996
36. المستصفي، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1413 هـ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي
37. معجم ألفاظ العلم والمعرفة، عادل زاير، دار السلام، 2008، ط1
38. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني، دار القلم، دمشق، 2002، ط3،

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية – ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل – د/خير الدين خوجة

39. مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسها العامة، للشيخ مناع القطان – مجموعة

بحوث مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة

40. مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، د/ مقداد يالجن،

دار عالم الكتب، الرياض، ط2، 2004

41. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر العربي، القاهرة،

ط1، 1995

42. منهج التفكير الإسلامي، علي جريشة، دار القلم، بيروت، 1998، ط1

43. منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، للأستاذ الدكتور إبراهيم رجب، بحث غير

مطبوع 1413

44. الوجيه في إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط1_ 1987

45. وحي الله، حقائقه، وخصائصه في الكتاب و السنة ونقض مزاعم المستشرقين، د/ حسن

ضياء الدين عتر، مكتبة السواري للنشر، جدة

46. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط1، 1989

47. ورقة إسلامية المعرفة بين الأمس و اليوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا 1996

48. ورقة أسلمة المعرفة، د/ إسماعيل الفاروقي، (د.ت)

49. ورقة الجمع بين القراءتين، د/ طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا

1996

50. <http://www.theoryofknowledge.net/areas-of-knowledge/the-human-sciences/human-sciences-starting-points.php>

51. http://en.wikipedia.org/wiki/Islamization_of_knowledgehttp://wikiislam.net/wiki/Islamization_of_Knowledge

52. <http://www.alwarraq.com>